رواية آنة كومونين عن حصار أنطاكية بين المصادر العربية والأجنبية

أ.م.د. طلب صبار محل

جامعة تكريت

مدخل: في البداية تجدر الإشارة إلى أنّ الأميرة (آنة) Anna هي الابنة الكبرى للإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومونين Alexius 1, Communes، من زوجته أيرين دوكاس Irene Ducas ، ولدت سنة 1083م في القصر الإمبراطوري، أي قبيل الحروب الصليبية ، وقد حظيت برعاية خاصة من لدن والدها الإمبراطور ، فانعكس ذلك على حسن تعليمها ، إذ نهلت من معارف عصرها ما أغنى ثقافتها وأثرى أفكارها (1).

كان زواجها الأول من قسطنطين دوكاس Constantine Ducas ابن الإمبراطورة مارية Mary، ولكنه توفي عنها فتزوجت ثانية من نقفور بيرينيوس Nicphorus Bryonies (2).

ويبدو أنّ حياة الأميرة (آنة) قد تعرضت إلى مصاعب جَمّة بعد وفاة والدها، سنة 1118م، فقد قام أخوها حنّا الثاني كومونين John 11Comnenus بحبسها في أحد الأديرة، فانصرفت إلى الكتابة والتأليف، وقد وُصِفت بغزارة العلم وبمعرفة واسعة في الأدب، ووضعت كتابها الذي عُرِفَ بـ (الالكسياد) The Alexiad الذي اقتبس من اسم والدها (الكسيوس)، والكتاب عبارة عن سجل حافل لحياة الإمبراطور وعصره منذ ولادته حتى وفاته (3).

ويُعد الكتاب على جانب كبير من الأهمية للمهتمين بالتاريخ البيزنطي بعامة، وتاريخ الحروب الصليبية بخاصة، وذلك لان الكاتبة من شهود العيان

الذين عاشوا عن قرب وقائع ونتائج الحملة الصليبية الأولى التي مثّلت بداية تدفق الحملات الصليبية نحو الشرق، وعاصرت ما يربو على خمسة عقود من تاريخ تلك الحملة، إذ توفيت سنة 1148م (4).

ومما يزيد من أهمية الكتاب أن الأميرة هي أحد أفراد الأسرة الحاكمة ومن المقربين من والدها الإمبراطور لذلك فإن المكانة الاجتماعية والسياسية التي تمتعت بها قد انعكست علي أهمية ما سطرته في كتابها ، فالكتاب اقرب إلى طبيعة الوثائق الخاصة، منه إلى كونه كتاباً عاماً عالج موضوعاً معيناً في زمن من الأزمان، لذلك لابد للباحثين، ولاسيما مؤرخي الحروب الصليبية، من العودة إلى مرويات آنة كومونين (5)، مع الأخذ بنظر الاعتبار انحياز الكاتبة إلى ما يخدم تاريخ الإمبراطور والإمبراطورية، وهذا غير خافٍ، ولكنه لا يقلل من أهمية الكتاب بحال من الأحوال.

بقي أن نقول إنّ الكتاب وضع باللغة اليونانية ثم ترجم إلى اللغة الانكليزية من قبل Elizabeth A.Dawes سنة 1928م، وقد أعيدت ترجمته من قبل Sewter.E.R.A سنة 1969م، ثم قام الدكتور سهيل زكار بترجمة الجزء الخاص بالحروب الصليبية من كتاب الالكسياد إلى اللغة العربية ضمن موسوعة الحروب الصليبية (الجزء السادس)، وقد افدنا من هذه الترجمة في كتابة هذا البحث .

وقبل الدخول في صلب الموضوع لابد من إطلالة سريعة على الخارطة السياسية في المشرق قبيل قيام الغزو الصليبي، وذلك لاستجلاء الحال الراهنة آنذاك وانعكاس ذلك الواقع على مجريات الأحداث وما رافق ذلك من آثار الأفعال وردود الأفعال، بدءاً باتفاقية القسطنطينية بين الإمبراطور البيزنطي والأمراء الصليبيين وانتهاء بسقوط أنطاكية بيد الغزاة، بعد شهور طويلة من الحصار، وذلك لان الحديث عن حصار أنطاكية بمعزل عن معرفة الحال العام الذي كان يسود المشرق قبيل الغزو الصليبي، يجعل الموضوع مجتزءاً والصورة غير واضحة المعالم في نظر القارئ غير المختص على الأقل ، بالرغم من الدراسات العديدة التي كتبت في هذا الموضوع (6).

ولابد من إلمامة يسيرة ومختصرة لرسم صورة محددة للظرف العام الذي تمّ فيه الغزو وجرت فيهِ وقائع حصار مدينة أنطاكية ، إذ كانت الخلافة العباسية عند ذاك تعاني من آثار التسلط السلجوقي على مقدراتها

ولا تعدو أن تكون مظلّة شرعية فقط يسعى الأمراء السلاجقة المتصارعون على السلطان إلى الفوز بمشروعية وجودهم من قِبل الخلافة العباسية سواء عن طريق الرضا أو الإكراه (7).

وعليه فلا يمكن لمؤسسة سياسية، كالخلافة العباسية، تكون مقدراتها السياسية والاقتصادية والعسكرية رهناً بيد الآخرين، وتكون مؤثرة على أيّ صعيد من الأصعدة.

وفي الطرف الآخر– مصر وبعض أجزاء بلاد الشام– كانت الخلافة الفاطمية هي الأخرى تعاني من أوضاع سياسية داخلية وخارجية معقدة للغاية وتعصف بها المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فلا يؤمّل أن تكون فاعلة على ساحة الصراع السياسي والعسكري ضد الغزاة الصليبيين.

وفوق هذا وذاك فأن الخلافتين العباسية والفاطمية قد كانتا تعيشان حالة من النزاع العقائدِي والسياسي المزمن والدائم، لذا كان العالم الإسلامي موزعاً في ولائه السياسي والعقائدي بين هاتين الدولتين، الأمر الذي جعل بلاد الشام، وهي المجال الحيوي، الذي تنازعت الخلافتان السيادة عليه، موزعاً بين عدة إمارات صغيرة، فكانت كل مدينة كبيرة في بلاد الشام تقريبا، إمارة مستقلة تحت حكم حاكم عربي أو من السلاجقة الأتراك (8).

أمّا السلاجقة الذين كانوا يهيمنون على مقدرات الخلافة العباسية فيُكتفى بالقول أنّ المؤسسة السلجوقية السياسية والعسكرية فقدت قدراتها الحقيقية اثر وفاة سلطانها الكبير ملك شاه (470هـ 1077م /485هـ - 1092م)، إذ احتدم الصراع بين أقطاب البيت السلجوقي للاستئثار بالسلطة، ودارت دائرة الصراع الدموي طويل الأمد بين هؤلاء الأمراء المتسابقين على السلطان، مما انعكس سلبياً على علاقة هؤلاء بالخلافة العباسية من جهة وأضعف قدرتهم على صد المخاطر التي تمثلت بالغزو الصليبي من جهة أخرى (9).

كانت بلاد الشام التي تمثل هدفاً أساسياً في المشروع الصليبي تعاني بصورة كبيرة من آثار الصراع السياسي والعسكري على مقاليد السلطة، و انتشرت الإمارات القزمية فيها، هنا وهناك، وكل أمير يحاول الحفاظ على ما في يده مهما كلف الأمر، أو ربما يكون طامعاً بما في يد الأخر، وخيرُ مثالٍ على ذلك ولدا سلطان الشام (تاج الدولة تتش بن الب ارسلان) اللذين

خلفاه على الملك فاستقل(شمس الملوك دقاق) في دمشق واستقل(فخر الملوك رضوان) في حلب(10).

وكانت إمارة أنطاكية تتبع سياسياً لصاحب حلب، وقد زوج أمير أنطاكية (ياغي- سيان) ابنته من رضوان صاحب حلب، غير أنّ قواعد الألاعيب السياسية لاتخضع للأعراف الاجتماعية بصورة دائمة فحينما فشلت محاولة رضوان وياغي- سيان بانتزاع دمشق من دقاق وإضافتها إلى أملاك رضوان سارع أمير أنطاكية إلى الانضمام إلى جانب دقاق ضدّ صهره رضوان لانتزاع حلب من يده (11).

ولا يحتاج المتتبع لهذه المواقف المتناقضة الى جهد كبير كي يتحسس الواقع الهش الذي كانت تعيشه بلاد الشام، وبخاصة أنّ أمير أنطاكية قد كان منغمساً في هذا الصراع مرة هنا ومرة هناك، في الوقت الذي أصبح فيه الصليبيون على أعتاب إمارته عـندما كان هو خارجها متورطاً في ذلك الصراع(12).

وفي الطرف الأخر من الساحة السياسية والعسكرية في المشرق، كانت الإمبراطورية البيزنطية ، التي منيت بهزيمة ساحقة على أيدي السلاجقة في معركة ملاذ كرد سنة 464هـ/1017م (13)، وفقدت مساحات واسعة من أراضيها في الطرف الأسيوي ، فكانت تتشبث بكل السبل لاسترداد ما ضاع منها ، وتحاول رد هيبتها وفرض سلطانها(14).

في الجنوب الغربي من آسيا الصغرى، كانت تقوم الإمارات الأرمينية، إذ انزوى الأرمن في المناطق الجبلية وفي أماكن أخرى نتيجة للضغط الذي كانوا يعانونه من الإمبراطورية البيزنطية من جهة والسلاجقة من جهة أخرى (15).

ويبدو أنّ الأرمن قد أفادوا من حالة الصراع البيزنطي – السلجوقي للانصراف إلى شؤونهم الخارجية والداخلية لبناء بعض الإمارات الارمنية هناك ، غير أنهم لم يغفلوا الانتباه إلى ما يجري من تطورات سياسية هامة حينما أصبح الغزو الصليبي حقيقةً واقعةً، والراجح أنّ هذه العلاقات غير المستقرة للأرمن مع الروم أو السلاجقة، بسبب خلفيات عقائدية وسياسية معقدة (16)، دفعت بالبعض منهم إلى التعاون مع الصليبيين والقيام بدور هام في الأحداث السياسية والعسكرية التي دارت في المنطقة عندما وصل الصليبيون إلى أعالي الجزيرة وبلاد الشام، ومن هنا جاءت أهمية وجود

الأرمن لاستكمال معالم صورة واقع الحال في المشرق قبـيل الغزو الصليبي (17) .

هذا عن المشرق، إما في الجانب الأوربي فإن الحديث عن دوافع الغزو والتعرف على الواقع التاريخي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي أمر يطول شرحه، ولكن يمكن القول إنّ خطبة البابا أُوربان الثاني في كلير مونت Clermont جنوب فرنسا سنة 488هـ/1095م تمثل تحولاً نوعياً في تاريخ الحركة الصليبية، لأنّ هذه الحركة بعد هذا التاريخ تحولت من مرحلة الإعداد لمواجهة المسلمين إلى مرحلة التنفيذ وتسيير الجيوش ودعمها بكل الإمكانات المتاحة للتوجه إلى الشرق، وهكذا بدأت الحروب الصليبية، ففي نهاية سنة 490هـ / 1096م ومطلع العام الذي يليه بدأت الجيوش الصليبية أو ما يسمى بحملة الأمراء تتقاطر على العاصمة البيزنطية القسطنطينية ، فوصلها هيوكونت فرماندو Hugh,Count of Vermandois، ثم تلاه جود فري، كونت اللورين Godfrey of Bouillon,Duk of Lower Lorraine، ووصل كذلك بوهمند النورماني Bohemond 1, of Taranto (18)، وجاء بعده ريموند السنجيلي كونت تولوز Raymond of Aguilers وأخيرا وصل روبرت وستيفن بلوا Robert 1, Duk of Normandy and Stephen, Cunt of Blois .(19)

وحين تتحدث (آنة) عن القادة الصليبيين وتذكر أعداد الجيوش التي يقودها كل منهم فأنها لاتستطيع أخفاء كرهها واحتقارها لهم إذ تقول (ومع رغبتي الشديدة في الإقدام على تسمية قادتهم فإنني أفضل عدم فعل ذلك، لأنَ الكلمات تخونني بسبب عدم مقدرتي على التفوه بالأسماء البربرية – ذلك أنها غير موائمة لنا – ثم إنني أجد نفسي ارتجف أمام أعدادهم الكبيرة)(20).

وكان الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومـونين، في هذا الوقـت، يقوم بنشاط دائب للقاء هؤلاء الأمراء بصورة انفرادية أو ثنائية أو ربما جماعية حسب ما تمليه الضرورة، وبغض النظر عن التفاصيل الكثيرة في هذا الجانب فان الإمبراطور قد أفلح في نهاية الأمر أن ينتزع منهم يمين الولاء الذي اعترفوا فيه بالتبعية له ويمثل ذلك اليمين تتويجاً لما يُسمى باتفاقية القسطنطينية بين الإمبراطور والأمراء الصليبيين ،تلك الاتفاقية التي

انطوت على تفاصيل كثيرة تمثل حفظ مصالح الطرفين البيزنطي والصليبي، وبالرغم من المفاوضات المطولة والجدل بين الإمبراطور والقادة الصليبيين حول أسس العلاقة بينهما، إلا أن الإمبراطور كان على دراية تامة بطبيعة وأهواء ذلك النمط من الرجال، وهذا ما أشارت إليه (آنة) بقولها (21) (ولكن لسوء حظهم كان الإمبراطور يعرف خساسة طباعهم وما جبلوا عليه وذلك نتيجة لطول التجربة) ويبدو أن شك الامبرطور وارتيابه من نوايا القادة الصليبيين كان في محله ، لان معظمهم كانوا يظهرون غير ما يبطنون ولم يفوا للإمبراطور بما اقسموا عليه في أتفاقية القسطينية ، وخير مثال على ذلك الأمير النورماني بوهمند الذي تنكر لمضمون تلك الاتفاقية ، واستأثر بإمارة أنطاكية لنفسه دون سواه (22)، ويمكن الإشارة إلى بعض ما جاء في تلك الاتفاقية من الأمور الآتية:-

1-أن يعيد الصليبيون إلى بيزنطة الأراضي و المدن التي يتمكنون من انتزاعها من المسلمين والتي تعتقد الإمبراطورية البيزنطية أنّ لها حقوقا تاريخية فيها مثل مدينة أنطاكية (23).

2-أن تقدم الإمبراطورية البيزنطية كل التسهيلات الممكنة من المؤن والميرة والإدلاء للجيوش الصليبية (24).

3-أن تجهز الإمبراطورية البيزنطية جيشاً كافياً لمصاحبة الجيوش الصليبية، لأن البيزنطيين أكثر خبرة في قتال المسلمين من الصليبيين الطارئين على المنطقة.

وبالرغم من أنّ الطرف البيزنطي و الصليبي كانا يشكّان في صدق نوايا بعضهمـا تجاه البعض الأخر إلاّ أنّ المصلحة المشتركة قد طبعت المظهر الخارجي لصورة التعاون بين الطرفين، بطابع التفاهم والوفاق.

وكانت التجربة الأولى التي أثبتت عدم مصداقية ما جاء في اتفاقية القسطنطينية، هي عندما حاصر الصليبيون مدينة نيقيه(25) قرابة شهر وكادت المـدينة أنْ تستسلم للصليبيين، لولا أن تفاوض أهلها سرَاً مع رجال الإمبراطور لتحديد شروط تسليم المدينة دون علم الصليبيين، على أن يُرفع العلم البيزنطي على أسوارها، ورغم الأموال و الهبات التي أغدقها الإمبراطور البيزنطي على القادة الصليبيين الذين تمكنوا من احتلال المدينة إلاّ أنّ شكوك القادة الصليبيين قد أصبحت أكثر وضوحاً بنوايا الإمبراطور في تغليب مصالحه على القضية الصليبية برمتها(26)، ولكن الأميرة آنة قد

دافعت عن وجهت نظر الإمبراطور وسلامة الطريقة التي تمت فيها السيطرة على مدينة نيقية الحصينة التي لايمكن السيطرة عليها من قبل الصليبيين مهما بلغوا من القوة وطال بهم الأمد (27).

وبعد الاستيلاء على مدينة نيقية واصل الصليبيون سيرهم نحو منطقة الجزيرة و أعالي الشام بالرغم مما واجهوه من صنوف المشاكل العسيرة التي تتمثل في الهجمات التي شنها السلاجقة ضدهم، وطول خطوط التموين ومصاعب الطريق الشاق والطويل، ففي 21 تشرين الأول وضع الصليبيون أثقالهم أمام أسوار أنطاكية وبدأت سلسلة من عمليات الحصار الطويل لهذه المدينة حتى تمكنوا من النفاذ إلى داخل أسوارها مبتهجين حين أبادوا كل أهلها دون تمييز (28)، وكانت المفاجأة اكبر عندما وجد الصليبيون أنفسهم محاصرين داخل أسوار أنطاكية، تحيطهم الجيوش الإسلامية وتُحْكِم عليهم طوق الحصار حينما زحفت تلك الجيوش من الموصل لنجدة أنطاكية (29).

تناول المؤرخون المسلمون وغير المسلمين القدامى منهم والمحدثون موضوع الحصار وكثيرا ما تشابهت أو اختلفت المرويات فيه، وتعد مذكرات (آنة) كومونين ابنة الإمبراطور البيزنطي ذات قيمة كبيرة في هذا الصدد، ذلك لأنها من المعاصرين لزمن الحصار من جهة وللمكانة التي تتمتع بها في البيئة السياسية آنذاك من جهة أخرى، فهي ابنة الإمبراطور الذي اقتضت مصالحهُ شراكة الغزاة و الدفع بهم لاحتلال ذلك الجزء المهم من أرض الوطن العربي.

ومما تجدر الإشارة الية هو الميل و الانحياز الواضح لمرويات (آنة) كما تقدم، وهذا أمر محتمل أن تمثل وجهة النظر البيزنطية في معالجتها للأمور، ومع ذلك فقيمة ما كتبته يعد كبيراً للأسباب الأنفة، وبالإمكان إن نلمس أهم ملامح تلك القيمة والأهمية عند مقارنة ما روته (آنة) مع ما رواه المؤرخون الرواد من الصليبيين و المسلمين و غيرهم الكثير.

أمام أسوار أنطاكية

حين أصبح الصليبيون على مشارف انطاكية أدهشهم ما شاهدوه من حصانة المدينة ومناعة أسوارها فقد أحاط بالمدينة جبل أنطاكية (حبيب النجار) من جهة الشرق و الجنوب أمّا من جهة الشمال و الغرب فإنَها تقع

داخل منحنى نهر العاصي الذي يغير اتجاهه الشمالي ليعود في مجراه نحو الجنوب الغربي، فضلاً عن الأسوار المنيعة التي كانت تحيط بالمدينة، {انظر الخارطة}.

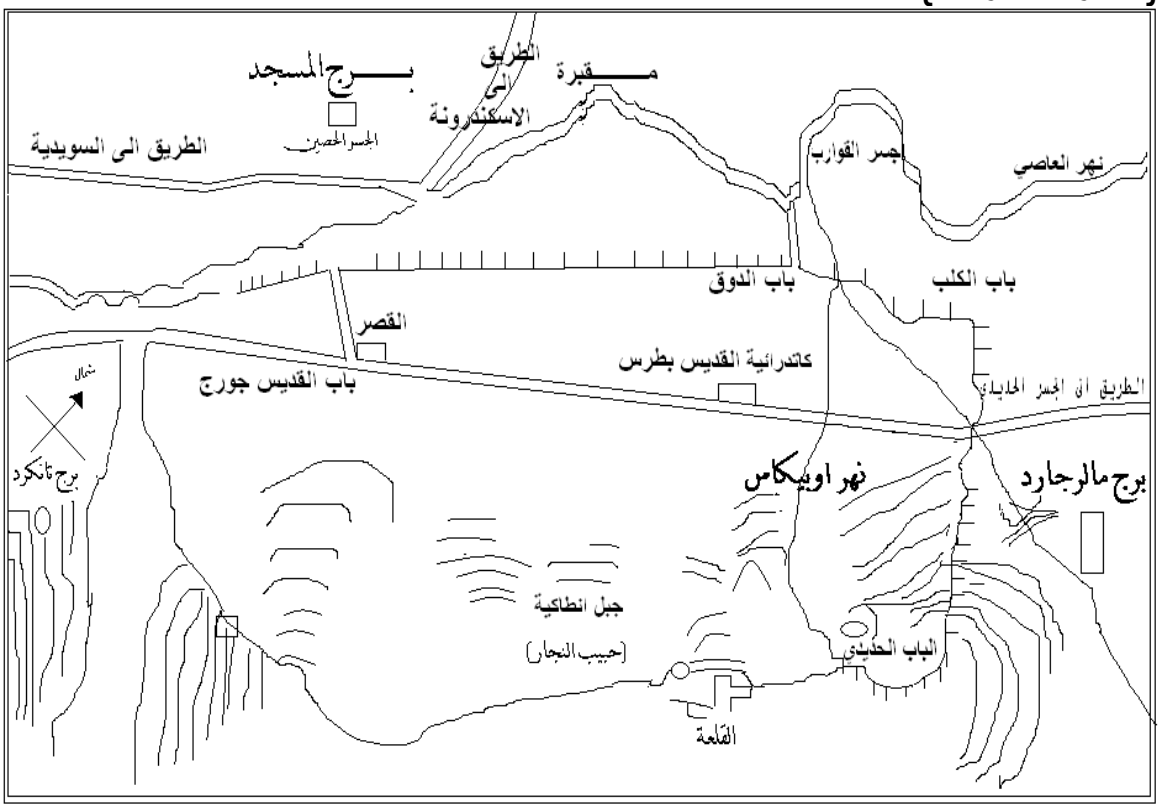

مدينة أنطاكية
نقلا عن ستيفن رنسيمان، الحروب الصليبية

ومن الواضح إن هذه الموانع الطبيعية قد زادت من الحصانة الدفاعية للمدينة على مر الأجيال(30)، ويقول الشارتري (31)، وهو ممن صحب الحملة الصليبية الأولى بأنّ أنطاكية ((مدينة كبيرة جدًا، شديدة التحصين منيعة الموقع ،لا يمكن أن يأخذها عدو من الخارج إذا ما توفرت فيها الإمدادات و الغذاء و إذا ما عقد سكانها عزمهم على الدفاع عنها))، و جاء في رسالة ستيفن أمير بلوا إلى زوجته يصف مدينة أنطاكية((إننّا وجدنا مدينة عظيمة هائلة وحصينة ولا يمكن السيطرة عليها إلاّ بإحدى طريقتين، التجويع أو الخيانة))(32).

ويقول ريموند دي جيل (33): إنَ المدينة في مأمن من السقوط ما دامت أبوابها مغلقة، رغم عدم التوازن بين قوات المحاصَرين والمحاصِرين، و تقدر
قوات أمير أنطاكية بسبعة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل في أحسن الأحوال ،بينما كان تعداد الصليبيين مايزيد على مائة ألف من الرجال المسلحين، الكثير منهم من الفرسان.

وتروي (آنة) (34) أن الصليبيين والبيزنطيين حين وصلوا إلى أنطاكية عِبر مايسمى، بالطريق السريع، قاموا بحفر حفرة كبيرة، على مقربة من أسوار المدينة، وأودعوا فيها أثقالهم وحاجاتهم ثم بدءوا الحصار.

سارع ياغي سيان أمير انطاكية الذي كان خارج المدينة إلى دخولها حين اطلّ الصليبيون على مشارفها عندما وافاه الخبر بوصول عساكر الصليبيين إلى مقربة من المدينة (35) وسارع بإرسال ولده شمس الدولة لطلب النجدة من دقاق صاحب دمشق، فضلاً عن أنه أرسل يطلب النجدة أيضاً من جناح الدولة أمير حمص ومن أتابك الموصل، و من السلطان السلجوقي محمد والخليفة العباسي المستظهر في بغداد(36).

وقد عمد الصليبيون إلى كسب الوقت والإمعان في تمزيق الجبهة الداخلية في بلاد الشام بتحييد بعض الأطراف لذا ((قد كاتبوا صاحب حلب ودمشق بأننَا لا نقصد غير البلاد التي كانت بيد الروم لانطلب سواها،مكراً منهم وخديعة حتى لايساعدوا صاحب انطاكية))(37).

وهذا ما فعله الصليبيون مع السفارة الفاطمية التي وصلت الى الصليبيين أمام أسوار أنطاكية للتفاوض معهم حول مستقبل العلاقات بين الطرفين(38).

غير أنّ الصليبيين لجؤوا إلى الوسائل الدبلوماسية في الرد على السفارة فعادت دون جواب قاطع(39).

وقد أحاط الصليبيون بأسوار انطاكية من جهة الشمال و الغرب ، حيث عسكر بوهمند النورماني بجيشه من أعلى الجهة الشمالية من أسوار المدينة مقابل باب بولص (40).

وعسكر جود فري بوايون في الجهة الشمالية الغربية من المدينة قبالة باب الجنينة، في الوقت الذي عسكر فيه ريموند بجيشه بصحبة المندوب البابوي ادهمار Adhemar قبالة الجهة الغربية أمام ما يعرف بباب الكلب،

أمّا بقية الجيوش الصليبية التي كانت بقيادة روبرت أمير نور منديا ،وروبرت أمير فلندر، وهــيو أمير فيرمــا ندوا و ستيفن امير بلوا، فقد رابطت عند المنطقة الممتدة من باب بولس إلى باب الكلب(41)، علماً أنّ بابين من الأبواب الخمسة الأساسية،هما باب الجسر و باب القديس جورج ظلا خارج سيطرة الصليبيين مما اتاح لسكان المدينة حرية الاتصال بالخارج و الحصول على بعض ما يحتاجون إليه(42)، وقد تمكن الصليبيون من اجتياز نهر العاصي عندما أقاموا جسراً عائماً من القوارب والأخشاب التي تمكنوا من جمعها فأصبح هذا الجسر يربط بين معسكر جودفري و قرية تالنكي على الضفة الثانية للنهر(43) وبذلك تمكنت الجيوش الصليبية من الهيمنة على الطرق المؤدية إلى الإسكندرية والسويدية (44).

وبالرغم من أن الصليبيين قد فرضوا حصارهم بكل ما أُوتوا من قوة، إلاَ أنّهم َتصَرّفوا بدون معرفة، لأنهم كانوا يجهلون طرائق حرب الحصار لذا وقعوا في أخطاء وهفوات كثيرة جلبت لهم الاخفاق تلوا الاخفاق ولم يكن بإمكانهم أنْ يطبقوا الحصار بصورة تامة (45).

وبعد استكمال هذه الاستحضارات كان من المؤمّل أنْ يكون الهجوم وشيكا على المدينة، وهذا ما أشار به ريموند الصنجيلي، الذي دعا بقية القادة الصليبيين الى مباغتة المدينة و الاستيلاء عليها قبل ان يلملم المسلمون شتات أمرهم(46).

وهنا بدأت المآرب الذاتية تفعل فعلها،فليس الجميع ينظر الى موضوع الاستيلاء على مدينة انطاكية من نفس الزاوية التي ينظر منها الآخرون،ذلك إن بعضاً من أمراء هذه الحملة كانوا من السياسيين ولم يكونوا من المتحمسين للدين وإنما كان هدفهم الأساس الحصول على المكاسب الدنيوية ولابأس ان تكون تلك المكاسب مقرونة بمظاهر روحية، ويعد الأمير النورماني بوهمند ابرز من يمثل هذا الاتجاه(47).

وكان الإمبراطور البيزنطي قد تفرّس هذه النوايا التي يضمرها بعض القادة الصليبيين بحرصهم على الفوز بإمارات خاصة بهم في الشرق،ولكن هذا لم يزعج الإمبراطور طالما أعاد الصليبيون للإمبراطورية كل ما يستطيعون السيطرة عليه مما كان في حوزتها من الاملاك السابقة، ولا باس أنْ تقام إمارات صليبية و يكون هو السيد الأعلى على تلك الإمارات(48) وقد المح بوهمند إلى بعض ما يدور في نفسه بهذا الخصوص حين طلب

مـن الإمبراطور أنْ يجـعله (الدمستق الكـبير) Grand domestique أي الدوق الكبير (49) للشرق، وهذا يعني أنْ يكون قائداً عاماً لجميع الجيوش التي في الشرق، ولكن الإمبراطور ترك الأمر معلقاً وردّ على بوهمند بطريقة دبلوماسية هادئة (50).

وتضيف آنة إنّ الإمبراطور كان على يقين في قرارة نفسه أنّ بوهمند كان رجلاً مخادعاً ويبحث بكل الوسائل لنيل السلطة، أو الاستيلاء على الإمبراطورية، كما حاول أبوه أنْ يفعل ذلك من قبل (51).

وهاهو بوهمند أمام أسوار أنطاكية لايفكر بنسف مضمون اتفاقية القسطنطينية فحسب، وإنما يفكر بتنكب مشاركة القادة الصليبيين ويسعى بجد لوضع الخطط المنفردة للاستئثار بالحصول على أنطاكية خالصة له، وجُلّ ماكان يزعجه أنْ تتم السيطرة على المدينة بجهد صليبي مشترك، وعند ذلك ستسقط ذرائعه بالتفرد في حكم أنطاكية (52)، وخاصتة أنّ الرجل كان يجيد قواعد الألاعيب السياسية بعيداً عن الالتزامات الخلقية التي تحكم علاقته بالآخرين، وقد ذكرت (آنة) بعض خصال بوهمند في هذا الجانب على لسان أحد أصحابه– ريموند الصنجيلي – الذي قال عنه (إنّ بوهمند قد ورث المكر والخداع عن آبائه ... وإنّهُ سيكون نمطاً من المعجزات إذا احتفظ بوهمند بأيمانه) (53)، لذلك كان يخطط ويسعى للاهتداء الى الوسائل التي تجعله صاحب القدح المعلى بين الصليبيين والقائد الذي لا يمكن الاستغناء عنه على الإطـلاق إذا ما أراد الصليبيون ،حقاً ،السيطرة على المدينة.

بوهمند و فيروز

جاءت الفرصة حين تمكن بوهمند أنّ يقيم علاقة بأحد ضباط ياغي سيان المدعو فيروز(54) الذي كان مكلفاً بحراسة احد الأبواب، إذ صـدقت نُبُوءَة ستيفن بلوا التـي تـقول بـأنّ الخيانة قـد تكون أحد العـوامل الأساسية لاقتـحام أسـوار المدينة (55).

وحين تأكد بوهمند من صحة عزم ذلك الخائن ،شعر تماماً أنّه قد امتلك ناصية الأمر وما عليه إلاّ أنْ ينفذ مشروعه بدقّةٍ وإتقان في استخلاص انطاكية له شخصياً وكان عليه أن يفرض إرادته السياسية على

القادة الصليبيين من خلال القيام بالألاعيب والمناورات السياسية ، وقد شمّر عن ساعده للقيام بشن الحملات العسكرية على المدن و القرى في حوض نهر العاصي للحصول على المؤن التي بات الصليبيون بأمس الحاجة إليها إثناء مُدّة الحصار(56) ، ثم إنّ بوهمند قد تمكن عند البارة (57) ، في نهاية شهر كانون أول سنة 490 هـ /1097م من صد حملة عسكرية جاءت من دمشق لنجدة انطاكية ، بالرغم من البلاء الحسن الذي أبلاه المسلمون (58) ،وهكذا أحس القادة الصليبيون بأهمية الرجل وأنه لاغنى لهم عنه ، فكانت الخطوة الأخرى ، في مشروع بوهمند وهي إبعاد تاتيكوس Taticius، قائد الجيش البيزنطي الذي كُلِفَ من قبل الإمبراطور بمصاحبة الجيوش الصليبية لتقديم العون الذي تحتاجه تلك الجيوش وخاصة في الجوانب الفنية لأنّ تاتيكوس كان قد اصطحب معه مجموعة من المساعدين والمهندسين والإدلاء ،فضلاً عن (آنة) يُعدُّ ممثلاً عن الإمبراطور لتسلم المدن والمناطق التي يتمكن الصليبيون من السيطرة عليها (59) .

وإزاء ذلك فمن الصعوبة بمكان أن يحوز بوهمند انطاكية خالصة لنفسه ما لم يُحدث خللاً واضحاً في أركان اتفاقية القسطنطينية ، فإذا ما ترك ممثل الإمبراطور ساحة المعركة لأي سبب من الأسباب، حتى لو كانت تلك الذرائع مُختلقة من قبل بوهمند الذي كان جادّاً في السعي إلى ذلك،فإنّ شرطاً أساسياً من شروط الاتفاقية قد ينهار، وهذا ما يريده بوهمند أي أنّ الإمبراطور يُعدّ قد تخلى عن التزاماته تجاه الحملة الصليبية وتنصّل عمّا وعد به من تبني المشروع الصليبي وعليه فإنّ بوهمند في حلٍ مما تمّ الاتفاق علية في القسطنطينية (60) بالرغم من الجهود المخلصة والنصائح التي بذلها تاتيكوس أثناء حصار أنطاكية (61) وهنا تضاربت المصادر البيزنطية والصليبية والمصادر الأخرى في وصف الكيفية التي تخلى بها ممثل الإمبراطور عن دوره في معاضدة الصليبيين وانسحابه عائداً إلى القسطنطينية، وتمثل روايات (آنة) كومونين ركناً أساسياً في هذا الصدد، ويبدو إن (آنة) قد اعتمدت في عرض وجه النظر البيزنطية حسبما جاء في مذكراتها وفقاً لما حوته الوثائق والنصوص الرسمية في دار المحفوظات الرسمية في اسطنبول (62).

ولكن قبل الخوض في استعراض الروايات المختلفة، ووجهات النظر المتباينة البيزنطية وغير البيزنطية, بخصوص وقائع الحصار فلابد من

وقفة يسيرة أمام موضوع محدد، بخصوص طرد النصارى من داخل المدينة عند بدء الحصار حسبما ورد في بعض المصادر العربية وغير العربية، وتجدر الإشارة أنّ هذا الموضوع قد يرتبط، من بعيد أو قريب، بطبيعة العلاقة التي قامت بين بوهمند والخائن فيروز الزرّاد التي تمثل الخطوة الأولى في سياسة بوهمند لحيازة أنطاكية لـه دون سـواه، ثم تأتي الخطوة الثانية وهي التخلص من تاتيكوس.

وقد ذكر ابـن الأثير (63)، أنّ ياغي سيان قد خاف النصارى من سكان المدينة فاحتال بطرد الرجال وحفظ أهلهم ولم يسمح بالأضرار بهم (64).

كان ذلك قد حصل في المرحلة الأولى من حصار المدينة، ولكن ليس من السهل معرفة الأسباب الحقيقية التي تكمن وراء ذلك ، فهل فعل ياغي سيان ذلك تحت إلحاح الشعور بالريبة من حقيقة موقف هولاء ؟ أم انه فعل ذلك لأسباب غير معلنة لتعزيز الصمود وتحدي الحصار، ويرجّح بعض المُحْدثين أنّ أمير أنطاكية قد فعل ما فعل إزاء السريان والأرمن من الإجراءات التعسفية بفعل المواقف المتذبذبة وغير الواضحة لهؤلاء الناس، مما عزز جوانب الارتيـاب بردود أفعالهم (65).

وربما يُفسّرُ الغموض فـي مواقـف البعض منهم من الصراع الصليبي – الإسلامي، أنهم كانوا بانتظار معرفة الطرف الغالب للانضمام إليه، وقد حصل فعلاً أن انضم الأرمن وقسم من النصارى الآخرين الى الجانب الصليبي بعد اجتياح أنطاكية، فيروي الصوري (66)، إنّ نصارى أنطاكية قد ابتهجوا إزاء ما حصل وسارعوا بحمل أسلحتهم والانضمام الى القوات الصليبية وقد ساعدوا الى حدٍ كبير في ألحاق الدمار والعبث بمقدرات المدينة ، فضلاً عن أنهم قد كانوا عوناً للصليبيين في الهجوم على معرة النعمان وما قاموا به من فعل مريع وهمجي في ذبح سكانها(67).

ولكن ما ترويه المصادر الصليبية يسلط الضوء على موضوع إبعاد النصارى من داخل مدينة انطاكية من زاوية أخرى ،توضح بجلاء ارتياب الصليبيين بهؤلاء المبعدين من داخل المدينة ،وكأن أمر طردهم فعل مدبر وتورية عن الغرض الحقيقي من وراء ذلك الأجراء ،وفي ذلك يقول صاحب أعمال الفرنجة (أما الأرمن والسريان الذين كانوا داخل المدينة فقد دأبوا على مغادرتها كل يوم متظاهرين بالفرار وكانوا موجودين بيننا في كل يوم،

بينما بقيت نساؤهم في المدينة وكانت عادتهم أنْ يتقصّوا حالنا وخبر موقفنا ثم يحملون كل شيءٍ إلى أولئك المحاصرين..) (68).

كذلك يرى وليم الصوري (69) أنّ بعضاً من هؤلاء النصارى قد أبدى استعداده للتعاون مع الصليبيين بتقديم مايحتاجونه من المعلومات الهامّة عن مايجري في المدينة ، ووصف هذا التعاون بأنه قد تمّ ((من خلال خدمات المؤمنين من الوسطاء)).

ويقول الشارتري (70)، وهو من المرافقين للحملة بإنّ سكان مدينة انطاكية يتصرفون بدافع رد الفعل إزاء النصارى الذين يسكنون انطاكية من الإغريق والسوريين والأرمن فكلما تعرض السكان لتشديد الحصار والضغط على المدينة كلما صبّ المسلمون جام غضبهم على شركائهم النصارى.

ولكن (آنة) كومونين لم تتطرق إلى هذا الموضوع لامن قريب ولامن بعيد، ومهما يكن من أمر فلا يمكن تصديق روايات من هذا النوع لأنّ فريقاً من النصارى السوريين والأرمن كانوا عوناً للمسلمين على الغزاة الصليبيين، فحملوا إلى سكان أنطاكية كميات كبيرة من الحنطة و الشعير والزيتون وما يحتاجونه من العلف فضلاً عن أنّ الكثير منهم قاتلوا الصليبيين الذين توهموا أنّ جميع النصارى سيكونون إلى جانبهم (71).

وعلى أية حال فليس من السهولة الاهتداء الى التفاصيل الأساسية في الموضوع أمام الكم الكبير من الروايات التي ألمحنا الى اليسير منها ولكن الراجح إن بعضاً من سكان المدينة من النصارى ولاسيما الأرمن قد توهموا أنهم سيكونون أفضل حالا في ظل الوجود الصليبي ، بالنظر إلى ما عانوه من ضغط على وجودهم من الإمبراطورية البيزنطية من الشمال والسلاجقة من الجنوب (72)، الأمر الذي جعل بعضهم ينحاز الى الطرف الصليبي ويقدم لهم ما يضر بمصلحة شعبه وبلاده، كما حصل مع فيروز الذي أدخل الغزاة إلى جوف المدينة تحت جنح الظلام.

ومن هنا قد يكون بالإمكان أنْ نتحسس البيئة النفسية المضطربة التي كان يعيشها فيروز، وبعض أسباب الانحراف الوجداني الذي عزز لديه الشعور بالتعصب الأعمى فدفعه إلى قتل أخيه الذي كان يعارض مسلكه الخياني في أثناء نومه قبل لحظات من تسلق الصليبيين لأسوار المدينة ، الأمر الذي أثار استغرب وليم الصوري ووصف ما قام به فيروز بأنه ((عملٌ فضيعٌ وورعٌ في آنٍ واحد)) (73).

تقول (آنة): إنّ بوهمند قد اتصل سراً بفيروز ألأرمني القائم على حراسة ذلك الجزء من سور المدينة، وكان مقره في البرج المعروف ببرج الاختين في الجهة المقابلة لمعسكر بوهمند، وأنّ فيروز ((كان بين حين وآخر يطلّ برأسه من أعلى البرج، وفي تلك الأثناء استماله بوهمند بكلمات معسولة وأغراه بوعود عدة، وهكذا أقنعه بفتح أبواب المدينة له))(74).

ولم تُفَصّل (آنة) كيفية ونوع الشروط الـتي تم بموجبها الاتـفاق، بينما نـجد صاحب أعمال الفرنجة يفصّل ذلك بشكل ملحوظ رغم ميله إلى الاختصار في كـتابه الصغير، ويمكن إيجاز ما ذكره بأنّ عرى الصداقة قد توثقت بين الرجلـين وإنهما قد تفاهما من خلال الرسائل السريّة التي تُبُودِلت بينهما وتمنى بوهمند على فيروز أنْ يعتنق النصرانية، وأغراه بالوعود ومنّاهُ بالأماني الزائفة، ويبدو أن فيروز قد وثق بتلك الوعود، فوعد بوهمند بتسليمه المدينة عندما يُطلب منه ذلك ،ثم انه اقترح على بوهمند بعض التدابير الواجب اتخاذها قبيل الشروع بتنفيذ الخطة المبيتة بينهما (75).

أما الشارتري (76)، فيروى ما قام به فيروز بطريقة مختلفة وطافحة بالخيال والتأملات الروحية التي توحي بأنّ ما قام به فيروز لم يكن بدافع من إرادته المحضة بقدر ما كان بأثر إيحائي روحاني لا يستطيع ردّه ، وملخص ذلك أنّ الربَّ قد تراءى لفيروز وأمره أنْ يسهم بإرجاع هذه المدينة للمسيحيين، معلناً له أنّه المسيح، وبعد حيرة وتردد عرض فيروز رؤياه على سيده ياغي سيان الذي سفّه أحلامه ووبّخه، ولكن المسيح قد ظهر لفيروز مرّةً أخرى آمراً إيّاه بالتنفيذ وكان ما كان من العلاقة بين فيروز و بوهمند.

وليس خافياً أنّ هذه المزاعم والتخرصات هي بعض الأركان الأساسية لمنهج الخداع والتستر بستار كثيف من الغيبيات والإيحاءات الروحانية بهدف التضليل وأنّ الأمور مقدرة وما يجري مقدّر بإرادة عليا ،وأنّ الغزاة جاءوا لتنفيذ إرادة الرب ؟! ولكن مقابل الحصول على العسل واللبن ؟! الذي يفيض بهما الشرق كما جاء في التوراة (77). ويقول سانت دي جيل (78): إنّ ((أحَدَ بها من رجال الأتراك المحاصرين وثق بأمرائنا إلى أنّهُ كان سيسلمنا أنطاكية)).

ويتفق صاحب أعمال الفرنجة و الشارتري أنّ فيروز قد قدم ولده رهينة لدى بوهمند لإثبات مصداقيته قبيل البدء بتنفيذ الخطة بقليل (79).

إما وليم الصوري (80) فقد رسم صورة أكثر شمولاً لخيانة فيروز وتعاونه مع الغزاة وأضفى على هذا الخائن ما يستحق من النعوت الكاذبة التي يُشترى بها أمثاله من الخونة، فتحدث عن أصله النبيل وإخلاصه للحركة الصليبية ،ووصف مكانته المرموقة لدى حاكم انطاكية الأمر الذي جعله متنفذاً و من أصحاب المشورة لذا كان مُطّلعاً بصورة دقيقة على ما يجري داخل أسوار المدينة، وكان يراسل بوهمند سرّاً كل يوم تقريباً موضحاً له مايجري في المدينة، طيلة شهور الحصار التي تربوا على السبعة أشهر ،وكان ولد فيروز يكلف بحمل بعضٍ من تلك الرسائل، ومما ينماز به كلام الصوري من تفاصيل إضافية عن تلك العلاقة بين الرجلين، أن بوهمند كان يلمح لفيروز في الرسائل السرية عن خداعهِ ومناوراته السياسية ضد بقية الامراء الصليبيين للتفرد بحكم أنطاكية، ويصف الصوري أنّ المحفّز الهام الذي جعل فيروز أكثر اندفاعاً لإدخال الصليبين إلى أنطاكية، هو رد الفعل الانتقامي إزاء ياغي سيان ورجاله الذين طعنوه في صميم كرامته ،حين وجد ولد فيروز أمه في أحضان أحد الأتراك، في الوقت الذي كان فيه فيروز منشغلاً بواجباته العديدة، لذلك طلب من بوهمند ان يعجّل بتسلق أسوار المدينة.

ولاشك أن وليم الصوري قد حاول ان يرسم هذه الصورة البراقة لفيروز ويسوغ خيانته بدافع التحامل على الإسلام والمسلمين، ولكن لايُستغرب ذلك من القس وليم لأنه احد أقطاب الكنيسة، أي أنّه من رجال الدين الذي لايرغبون دوماً في تغير قناعاتهم وحقدهم الموروث على أبناء هذه الأمة، وهم ابعد ما يكونون عن المحاكمة العقلية والتمسك بأهداب المنطق (81).

إما المصادر العربية الاسلامية وبعض المصادر الأجنبية فتجمع على خيانة فيروز ، وتذكر هذه المصادر ان تصّرف فيروز ربما يكون بدافع التأثر والانتقام من سيده ياغي – سيان الذي قيل أنّه صادر أمواله، وفي ذلك يقول ابن القلانسي (82) أن سقوط أنطاكية بيد الصليبيين كان (بتدبير الزرّاد، وهو رجل أرمني).

وذكر ابن الأثير (83): أنّ الصليبيين (راسلوا أحد المستحفظين للأبراج وهو زرّاد.. وبذلوا له مالاً وإقطاعا.. فلما تقرر الأمر بينهم وبين هذا الملعون الزرّاد جاءوا إلى الشباك ففتحوه ودخلوا).

وفي رواية ابن العديم أنّ بوهمند (واطأ رجل يُعرف بالزرّاد من أهل أنطاكية وغلمان له على برج كانوا يتولون حفظة، وذلك أنّ يغي سيان كان قد صادر هذا الزراد وأخذ ماله وغلته ، فحمله الحنق على أن كاتب بيمند) (84).

ولم يذكر الرهاوي المجهول فيروز بالاسم، ولكنهُ قال: إنّ بعضاً من أهالي أنطاكية ممن قرروا الاستسلام، (أرسلوا إلى بوهمند في شأن تسليم المدينة إليه، ولمّا تأكد الأمر بينهم وأنجز التدبير، صعد الفرنج على السور ..) (85).

ومن خلال ما تقدم يبدو أنّ فيروز كان مؤهلاً لبيع ولائه والوقوع في شباك الغزاة ،سواء كان ذلك بدافع الرغبة بالانتقام نتيجة لما أصابه من حيف على صعيد حياته الاجتماعية أو مصادرة أمواله، أو أحساسة بالغبن في المنزلة المتدنية التي يشغلها، إن صح ذلك، حسبما كان يعتقد، وخاصةً أنّه ينحدر من أرومة ذات ثراء ومجد – كما زعم الصوري– (86).

هذه الأمور كلها إذا ما أخذت بنظر الاعتبار، مضافاً إليها طموح هذا الرجل الذي لا تحده حدود في السعي الحثيث الى تحقيق ما يصبو إليه، بغض النظر عن سلامة الغاية والوسيلة، كل ذلك جعله فريسة سهلة سرعان ما سقط في حبائل بوهمند ،فأخذت أنطاكية بالخديعة،كما ورد في بعض المصادر السريانية (87)، وذكرت بعض تلك المصادر(88) أنّ فيروز كان رجلاً فارسياً يدعى (روزبة) وأنه قد تعاون مع أخوين أرمنيين، فقد أغراهم بوهمند بمال كثير فخانوا المدينة وسهلوا تسلل الصليبيين الى داخلها.

بوهمند وممثل الإمبراطور

وبعد ان اطمئن بوهمند إلى الضمانات السرية والوعود التي قطعها فيروز له، احتفظ بذلك السر لنفسه (89)، جاءت المرحلة الثانية من مخططه وهي استكمال تنفيذ المخطط لاستبعاد تاتيكوس ممثل الإمبراطور عن ساحة العمليات ليسقط بذلك كل الذرائع التي تجعل الإمبراطور شريكاً في احتلال مدينة انطاكية بعد أنْ يئس بوهمند من تحقيق أهدافه وبناء مجده بمساعدة

الإمبراطور لذلك غيّر سياسته تجاه الإمبراطور وقَلَبَ له ظهر المِجنّ بعد أنْ تظاهر له بأنّهُ من أكبر أعوانهِ، ثم صَمّمَ على وضع اليد على أنطاكية بالرغم من إرادة الإمبراطور(90).

وتروي (آنه) كومونين الطريقة التي تعامل بها بوهمند مع تاتيكوس، فقد سلك بوهمند مع ممثل الإمبراطور مسلكاً خبيثاً حينما أخبره بأنّ جيشاً إسلامياً قادماً من الشرق لنجدة أنطاكية، وان الأمراء الصليبيين يعتقدون أنّ الإمبراطور البيزنطي هو الذي حرّض السلطان السلجوقي على إرسال هذا الجيش، مما أغضب الأمراء وجعلهم يتربصون الفرص للانتقام من ممثل الإمبراطور وأنّ ما يقوم به بوهمند من إفشاء ذلك السر لتاتيكوس ما هو إلاّ من باب المودّة والحرص على سلامته، الأمر الذي أقلق الأخير وأجبره على مغادرة أنطاكية إلى قبرص(91).

وتضيف (آنه) أنّ عاملاً آخرَ قد تسبب برحيل تاتيكوس ألا وهو المجاعة الشديدة التي حلّتْ بالجيوش الصليبية، فقد أورد أحد الفرسان النورمان الذين اشتركوا في حصار أنطاكية قائمة بأسعار الخبز والدجاج والبيض و الجوز والخمور ولحوم الحمير إذ عَدَّ الفارس تلك الأسعار بأنها غالية جدا وقال ((بل أن كثيرين منا ماتوا هناك لأنه لم تكن معهم أموال يستطيعون بها أنْ يشتروا بمثل هذه الأسعار الغالية))(92)، نتيجةً للفاقة والواقع المرير الذي كان يعيشه الصليبيون أمام أسوار أنطاكية، لذلك فإنّ تاتيكوس كان يشعر بالإحباط واليأس التام من أمل الاستيلاء على المدينة (93).

ويتفق صاحب أعمال الفرنجة مع (آنة) في وصف هذه المجاعة التي حلت بالصليبيين، إلا انه يتحدث عن عودة تاتيكوس إلى بيزنطة بأسلوب آخر فيقول بأن تاتيكوس قد استبدّ به الفزع لمّا بلغه أنّ جيوش المسلمين تزحف من الشرق في طريقها لنجدة أنطاكية، وخشي من الهلاك فراح ينتحل شتّى الذرائع الكاذبة للإفلات من المحنة مدعياً أنّ سبب عودته إلى القسطنطينية هو بدافع الحاجة إلى جلب المؤن والميرة والخيول والسلاح، ليس إلاّ، ولكنه لاذ بالفرار وحنث بيمينه ولم يحقق شيئاً مما وعد به (94).

وربما يكون صاحب أعمال الفرنجة معذوراً في أنْ يصف مُمثّل الإمبراطور بهذه القسوة وينعته بالجبن والخيانة لأنه غادر الميدان في وقت عصيب، ولكن الراجح أنّه لايعلم الخفايا الحقيقية التي أرغمت تاتيكوس

على الرحيل، ولا احد يدرك تلك الحقائق سوى بوهمند الذي كان يحيك المؤامرات السريّة، وليس للآخرين سوى ظواهر الأمور، وفي ذلك يقول أحد شهود العيان (95) على احتلال أنطاكية ((لا يمكنني أنْ أقص كلّ ما فعلناه قبل استيلائنا على انطاكية ولا يستطيع احد ... أن يكتب أو يروي كيف جرت الأمور)).

وإذا كانت هذه رواية صاحب أعمال الفرنجة عن الموضوع، فإنّ فوشيه الشارتري لم يذكر ذلك لامن قريب ولامن بعيد، وربما يكون ذهابه بصحبة الأمير بلدوين إلى الرها، قبل حصار أنطاكية، سبباً لذلك.

أما ريموند دي جيل (96) فلم يزد على القول ((أنّ تاتيكوس ذلك المشوّه الذي كان يتلهف لإيجاد عذر يهرب بموجبه .. أضاف إلى آثامه الحنث باليمين وخيانة أصدقائه)).

وبعد أنْ أصبح ممثل الإمبراطور وجيشه أثراً بعد عين، عندئذ كان على بوهمند أن يحصل من القادة الصليبيين على وعد صريح بالتنازل له عن إمارة أنطاكية بعد احتلالها، فأجتمع بهم مُذكراً إياهم بسوء الحال الذي يمر به الصليبيون أمام أسوار أنطاكية مُلمحاً لهم بخطورة الوضع إذا ما جاءت نجدات إسلامية جديدة لإنطاكية، فأراد أن يستطلع أراء رفاقه حول إمكانية قبولهم بأن يتملك المدينة من يستطيع أن يشنّ هجوماً مثمراً عليها بمفرده أو بمعونة الآخرين ؟ إلا أنّ القادة الصليبيين رفضوا قبول هذه الفكرة وأصروا على مبدأ المقاسمة بالتساوي (97).

وقد ابتسم بوهمند عندما سمع هذا الرد وانسحب دون أن يتكلم لأنه على يقين من أنّ الأمور تجري كما يشتهي ، لأن القادم من الأحداث سيرغم القادة الصليبيين على الاستسلام لارادته والقبول بتنفيذ رغباته، وخاصةً أنه حقق شيئين أساسيين، هما الاتفاق مع فيروز وإزاحة ممثل الإمبراطور الذي كان يمثل عقبة كأداء قد تحول دون استئثاره بأنطاكية فكان عليه، بين الفينة والفينة، أن يجس نبض القادة الصليبيين لتحسس حقيقة المكانة التي يشغلها بينهم ومدى اعتمادهم على قدراته وشجاعته في الظروف الحرجة التي تحيط بهم، يضاف الى ذلك أنّه أراد أنْ يسحب البساط من تحت أقدامهم حينما اجتمع بهم معلناً لهم عزمه على العودة الى ايطاليا، إذ انه لا يرى من الحكمة أنْ يخلّ بالتزاماته تجاه وطنه مبيناً ((أنّ الشرف هو الذي جعله يتخذ هذا القرار ، لأنه رأى رجاله وخيوله تموت من الجوع، زد على هذا أنّ

بوهمند أوضح إنه رجل إمكاناته محدودة وثروته الشخصية لا تكفي لحصار طويل)) (98).

وقد أربك بهذا النبأ الصليبيين الذي توسموا فيه الرجل الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فأسرع القادة الصليبيون باستثناء ريموند إلى رجاء بوهمند بالاستمرار معهم في حصار أنطاكية باذلين له الوعود بتسليمه المدينة حين الاستيلاء عليها (99).

وهكذا شعر بوهمند أنّهُ المسوؤل عن إدارة الحصار وصد الهجمات الاسلامية القادمة لنجدة أنطاكية، عندما تصدى للحملة التي جاءت هذه المرة من حلب تلبيةً لاستنجاد ياغي سيان، إلاّ أنّ قوات حلب هُزِمتْ أمام بوهمند في المنطقة الواقعة بين نهر العاصي وبحيرة أنطاكية في ربيع أول 491 هـ / شباط 1098م واستولى الصليبيون على حصن حارم (100) الذي كان يحمي أنطاكية من جهة حلب (101).

وسرعان ما تغير الموقف لصالح بوهمند عندما وردت الأنباء باقتراب الجيوش الاسلامية الزاحفة من الموصل نحو انطاكية لإنجادها فحينئذ غدا الجيش الصليبي مهدداً بالخطر، فأصبحت الفرصة مؤاتية جدا ان يكرر بوهمند عرض مشروعهِ مجدداً على القادة الصليبيين للقبول بشروطه وخاصةً أنّ الخطر أصبح قاب قوسين أو أدنى، وهكذا تمكن أنّ ينتزع منهم بغيته ويحوز رضاهم بالاجماع، على حيازة أنطاكية، على أن يراعي بوهمند احترام القسم الذي حَلَفَ به للإمبراطور بإعادة أنطاكية الى الإمبراطورية البيزنطية، أذا قَدِمَ الإمبراطور لنجدة ومعاونة الصليبيين وإلا فإنهم في حلٍّ من التزاماتهم تجاهه (102).

ساعة الصفر

وهكذا يكون بوهمند قد وضع اللمسات النهائية على الخطوة الثانية في مشروعه لحيازة أنطاكية وما عليه إلاّ أنْ يستبق الوقت والأحداث لتنفيذ الخطوة الثالثة والأخيرة في هذا المضمار، وما كان عليه إذْ ذاك إلاّ أنّ يتفق مع ربيبه فيروز لتحديد ساعة الصفر لتسلق أسوار انطاكية وفتح أبوابها أمام الجموع الصليبية وهذا ما سبق الاتفاق عليه بين الرجلين بوهمند وفيروز (103).

وفي أول رجب 491هـ / 2حزيران 1098م جاءت اللحظة الحرجة التي قرر فيها بوهمند تسلق الأسوار بعد أنْ أرسل إليه فيروز من يخبره باستعداده لانجاز الوعد السري الخاص بتسليم المدينة (104).

وعند ذاك كان على بوهمند أنْ يضع النقاط على الحروف ويطلع زملائه الصليبيين بمضمون الخطة وماعليهم القيام به في الغد، إذ إنّهُ لم يطلعهم إلا في مساء اليوم السابق لتنفيذ الخطة، فأجتمع بكبار القادة ولأول مرة (105) أخبرهم بخطته فقال ((إنْ شاء الله، سوف تقع انطاكية بأيدينا هذه الليلة)) (106).

وهنا تؤكد (آنة)أنّ تلويح بوهمند بهذه الآمال الغامضة للقادة الصليبيين، إنما كان لتهيئة أذهانهم إلى إمكانية نجاح الاسلاليب السياسية والمناورات والخداع، دون الجزم بأن السيف هو الفيصل الوحيد في حسم موضوع أنطاكية، أي انه كان يمهد للاعتراف بجهوده ومهارته الدبلوماسية التي ربما تنجح في السيطرة على المدينة دون الاعتماد على القوة العسكرية بالدرجة الأساس، ودعاهم أن يفعلوا ما في وسعهم، إن استطاعوا ذلك، وهو يعلم بأنّهم لن يفلحوا بالحصول على فرصة ذهبية كالفرصة التي حصل عليها هو مع فيروز الخائن (107).

وأرسل من يطوف بالمعسكر، ويبلغ الأوامر بالاستعداد والتأهب للمسيرً لمواجهة قوات كربوقا التي باتت على مقربة من مدينة أنطاكية، وهكذا أخذت الجيوش الصليبية بالابتعاد عن أسوار المدينة حتى توارت عن الأنظار، وقد حاول بوهمند ان يخدع سكان المدينة برحيل الجيوش الصليبية ولكن عند حلول المساء هبطت القوات الصليبية تحت جنح الظلام الى تحت أسوار أنطاكية، متوجهةً إلى الطرف الغربي إذْ يتولى فيروز الحراسة فقد هيأ هذا الخائن السلالم المطلوبة لتسلق ذلك الجزء من السور (108).

وروي عن صاحب ملحمة (أنشودة أنطاكية) وهو ممن شهدَ تسلق الأسـوار، أنّ بوهمند لم يكن في البدء ممن تسلقوا السلالم ،معلناً للحاضرين انه لن يغامر بتعريض نفسه للهلاك ((لوكان البرج كله من ذهب)) (109).

وكيفما جرت الأمور فإن الصليبيين قد تسلقوا الأسوار واحتلت المدينة وذلك في جمادي الأولى 491هـ/3حزيران 1098م (110).

وغرس بوهمند علمه القرمزي فوق أسوار المدينة إيذاناً بسقوطها وتعالت صيحات الفرنجة ((أنها إرادة الله)) (111).

وقد كانت خيانة فيروز ذات فائدة مزدوجة بالنسبة للصليبيين إذ إنّه يسّر لهم دخول المدينة خلسةً ووفرَ عليهم الخسائر المتوقعة لو أنّهم احتلوها عن طريق القوه، هذا من جهة، ثم إنّهُ جنّبهم اقتحامها عنوةً فلو حدث هذا لن يكون دون تدمير أسوار المدينة واستحكاماتها من جهة ثانية (112)، وهذا ما يحتاجه الصليبيون حينما أصبحوا داخل المدينة.

كربوقا الذي جاء من الموصل لنجدة أنطاكية قد أضاع ثلاثة أسابيع من وقته الحرج أمام أسوار الرها المنيفة دون أنْ يظفر بطائل، ثم تحرك صوب أنطاكية إذ وصل بعد يومٍ وليلة من دخول الصليبيين إلى داخل المدينة وكان ((معه الآلاف التي لاتحصى من الجنود لإغاثة أنطاكية)) (113).

ولو أنّه قد التقى الصليبيين قبل احتلال أنطاكية، لربما سارت وقائع الحملة الصليبية في صورة مختلفة تماماً عن الصورة التي نعرفها اليوم، بالنظر لضخامة الجيش الـذي يقوده كربوقا فضلاً عَمّا صحبه من أمراء المسلمين ((ممن ليس مثلهم)) (114).

لقد أحكم كربوقا الحصار على أنطاكية وأصبح الصليبيون في خانق مميت ونفذ مالديهم من الأقوات والميرة ((حتى أكلوا الميتة)) (115) .

وأمام هذا الواقع المزري ،اضطر الصليبيون إن ينفذوا مبعوثاً إلى الإمبراطور البيزنطي لإنجادهم (116) .

لذلك أصبح النصر وشيكاً وعظم خوف الصليبيين ((حتى طلبوا أنْ يطلقهم فامتنع)) (117) .

وأمام هذا الوضع اليائس للجموع الصليبية داخل أسوار أنطاكية، كان لابد من البحث عن باعث لرفع معنويات الجموع اليائسة داخل أسوار المدينة، فحدث إنّ شخصاً قد ادعى انه شاهد السيد المسيح في الرؤيا وحدّثهُ عن الحربة المقدسة التي اخترقت جنبه وأنّ العثور عليها سيساعد (جنود الرب ؟!!) على تحقيق النصر، وقد عثر الصليبيون على تلك الحربة بعد جهد جهيد ، مع وجود اختلاف في أسلوب الرواية بين (آنة) وبعض المصادر الصـــليبية الأخـرى، إذ ذكـــرت (آنة) أنّ بطرس الناسك هو صاحب الرؤيا وقد وردت الإشارة في رؤيته إلى المسامير المقدسة، وليست الحربة، بينما أجمعت المصادر الصليبية إن الشخص هو بطرس بارثولوميو البروفنسالي، وليس المقصود بطرس الناسك، وأمام إجماع المصادر

الصليبية وبعضهم شهود عيان، يبدو إن (أنة) قد خلطت بين شخصي الرجلين، وخاصةً أنّ اسميهما يبدأن بـ (بطرس) (118).

ومهما يكن من أمر الجانب الصليبي فان كربوقا قد ارتكب جملة من الأخطاء حين أساء ((السيرة في من معه من المسلمين وأغضب الأمراء وتكبّر عليهم وأضمروا له في أنفسهم الغدر)) (119).

فهُزِمَ أمام الصليبيين الجياع وأضاع فرصة تأريخية في القضاء عليهم لو أحسن التدبير ولكن هذه الهزيمة فتّتْ في عضد المسلمين فعاد كربوقا إلى الموصل وتفرق بقية الأمراء .

أنّ ما تقدم يُمثلُ أهَمّ الأحداث السياسية والعسكرية التي رافقت عملية الحصار ولكن هذه الصورة لايمكن أنْ تكون كاملة مالم تسلط الأضواء على مواقف الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومونين من هذا الحصار، فبعد أنْ ساءت أحوال الصليبيين داخل انطاكية نتيجة للحصار الشديد على المدينة الذي فرضه كربوقا عليها، فقد تعلقت آمال الصليبيين مجدداً بقدوم الإمبراطور البيزنطي لفك الحصار (120).

وتقول (آنة) كومونين إنّ والدها كان ينوي الذهاب منذ زمن لمساعدة الصليبيين لو لا بعض الاضطرابات التي حدثت في المدن الساحلية الأمر الذي جعله ينصرف لمعالجة الموقف، غير إنّه لم ينس أهمية توجّهه لإنقاذ الصليبيين لذلك كان يُعدّ العدة لتجهيز قوات بحرية وبريّة لهذا الغرض(121).

ثم انحدر الإمبراطور نحو أعالي الشام مخترقاً آسيا الصغرى على الرغم من نصيحة بعض مستشاريه بعدم المجازفة لأنّ القوات السلجوقية كانت له بالمرصاد، ففي منتصف حزيران سنة 491 هـ / 1098م وصل الإمبراطور إلى مدينة آسكي شهر (122) وفي هذه المدينة استقبل الإمبراطور ستيفن كونت بلوا الذي فرّ من انطاكية هارباً وقد أخبر ستيفن الإمبراطور بأنّ القوات الإسلامية قد أجهزت على القوات الصليبية بشكل كامل (123) ، قائلاً له :((والأفضل لك أن تتراجع وقواتك سليمة أمام الحشد العملاق الذي جهزه الشرق)) (124).

لذا اقتنع الإمبراطور بكلام ستيفن بلوا ورأى وجوب مراعاة مصالح بلاده والابتعاد عن المجازفة إذا ما توغل في بلاد الشام، وتلقى الامبرطور

أنباءً أخرى تفيد أنّ جيشاً تركياً قد خرج لقطع الطريق على الإمدادات البيزنطية، وإعاقة الامبرطور من الوصول إلى أنطاكية (125).

هذه الأخبار قد أثارت قلق وانزعاج الامبرطور الذي أدرك أن المسلمين يقومون ببذل جهود كبيرة لاسترداد الأراضي التي سيطر عليها الصليبيون، وإذا تصرف الامبرطور بشكل غير محسوب ربما أضاع القسطنطينية وأنطاكية جملةً واحدةً (126).

وهكذا ضاعت الفرصة المؤاتية لإنقاذ الصليبيين، وكذلك تعزز الشعور لديهم بعدم مصداقية الامبرطور، كما خاب ظن البابا اوربان الثاني في توحيد الكنيستين الشرقية والغربية (127)، من خلال التعاون المشترك بين اللاتين والبيزنطيين.

وتصف(آنة) (128) داهية الخيانة التي فاجأت أهالي أنطاكية، إذ لم يتسع المجال لحرس الأبراج أنْ يدركوا الوضع بإطلاق أبواقهم من أجل إعلان حالة الحرب، فقد ركبت السيوف أعناق البشر دون تمييز وتزاحم الهاربون على البوابة الخلفية للنجاة بجلودهم وتحصن بالقلعة من استطاع ذلك، وبذلك فقد تمكن الصليبيون من قتل مايفوق العدد، ولم ينج من القتل سوى من تهيّأ لهم الفرار(129).

وقال أحد كبار القسس ((ما من جريمة فضيعة وما من نهب مريع وما من فعلة مخجلة إلاّ ارتكبوها)) (130)، ويقول مؤرخ غربي آخر عن الصليبيين ((أنهم من اشر الوحوش حماقة)) (131)، ويروي الشارتري (132)، وهو من شهود العيان إن الصليبيين كانوا ((يقتحمون الشوارع بسيوف مشرعة ويقتلون الناس بوحشية)) وشاهد عيان آخر ممن شهد احتلال أنطاكية وما صحب ذلك من إبادة جماعية لأهلها، يروي بأنه ((من غير الممكن تقدير عدد القتلى من المسلمين ومن العبث حكاية القصة بالتفصيل ووصف طرق الموت المختلفة)) (133).

وهذا صليبيً آخر، القس وليم الصوري يروي ما فعله أبناء جلدته من الغزاة بسكان مدينة أنطاكية وهذا نص ما يقول ((وتبعثرت الأشلاء في كل مكان وانتشر الكرب وعويل النساء، وفي كل مكان ذبح آباء الأسر مع جميع آلهم ... وكانت قد تملكتهم شهوة القتل الجنونية والجشع والنهب، لذلك لم يستثنوا من القتل لا الجنس ولا المنزلة الاجتماعية، ولم يقيموا للسن أدنى قيمة..)) (134) ويتضح من النصوص أعلاه، وهي لمؤرخين معاصرين

للحملة وشهود عيان وكلهم من الغربيين مدى الهمجية والطيش والتعطش الى الدماء، ولاشك إن ذلك ينبع من الحقد الدفين، وثقافات العداء للمسلمين، التي عبرّت عن وجهها الكالح من خلال أسلوب الإبادة واللصوصية.

أما مؤرخونا المسلمون فأجملوا القول إن الصليبيين قتلوا من الناس ((مالا يدركه حصر)) (135).

وبعد أن استقرّ الصليبيون في أنطاكية وهدأت أوضاعهم ظاهرياً، بعد فشل حملة كربوقا، كان هناك في نفس الوقت صراع خفي بين الزعماء الصليبيين للاستئثار بالمدينة، وكان بوهمند أقوى المنافسين، ولابد له من استبعاد كل الاحتمالات التي قد تؤدي الى عودة أنطاكية الى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية، فأخذ يحث الصليبيين لدعوة البابا للمجيء الى أنطاكية لاستلام مقاليد كنيسة القديس بطرس، لأنّ بوهمند يعلم سلفاً باستحالة مجيء البابا إلى أنطاكية، ولكنه أراد إن يقطع الطريق أمام مطامح الامبرطور البيزنطي (136).

المهم أنّ الامبرطور لم يأت ولكن بوهمند استمر في مناورته السياسية مع القادة الصليبيين لحين اتخاذ القرار بالمسير إلى بيت المقدس وإبقاء بوهمند أميرا على أنطاكية، رغم معارضة بعض القادة لهذا النهج المخالف لنصوص اتفاقية القسطنطينية التي تقضي بعودة أنطاكية إلى الإمبراطورية البيزنطية (137).

ولكن بوهمند لم يحفل بكل ذلك وأعلن نفسه أميراً لثاني إمارة صليبية في الشرق، وقد كانت حياته السياسة والعسكرية طافحة بالإحداث الجسام حتى هزيمته في معركة دورازو أمام الامبرطور البيزنطي الكسيوس كومونين وأفول نجمه سنة 502هـ/1108م (138).

النتائـج:

استمر حصار انطاكية ما يزيد على سبعة أشهر، كانت طافحة بالصراع الدامي بين الطرفين الإسلامي والصليبي بعامة وأهالي مدينة انطاكية والصليبيين بخاصة، وقد حاول كلا الفريقين أنْ يفرض نفسه على الطرف الآخر بكل ما أوتي من قوّة، وقد رسم ذلك الصراع المواقف المختلفة والمآرب المتباينة بين المتصارعين لذلك ليس غريباً إن تكون الروايات التي تصف ذلك الصراع مختلفة تبعاً لتوجهات من نسجوها ومواقفهم من حيثيات الصراع.

وإجمالا يمكن الوقوف عند النقاط الاتية:

1- الاختلاف الواضح في الوسائل والغايات بين الصليبيين والروم البيزنطيين في المواقف المتباينة من حصار انطاكية فلكل منهما مصالحه الخاصة ولكل منهما منهاجه في السعي لتحقيق تلك المصالح .

2- وبناءً على ما تقدم، يكون من الواضح جداً انحياز أصحاب الروايات الى أطراف الصراع، حسب صلة كلٍّ منهم بهذا الطرف أو ذاك، وتبعاً لذلك كانت (آنة) ابنة الإمبراطور تلقي باللائمة على الصليبيين الذين عاثوا فساداً في أراضي الإمبراطورية ثم لم يفوا بما وعدوا به الإمبراطور من إعادة الأراضي التي يسترجعونها من المسلمين الى حوزة الإمبراطورية البيزنطية.

أمّا المؤرخون الصليبيون فإنهم يؤكدون بالاجماع خيانة الإمبراطور البيزنطي للمشروع الصليبي الذي لم يلتزم بالا يفاء بما وعد به الصليبيين من تقديم العون المطلوب لانجاز أهداف الغزو، لذلك طال وقوفهم أمام أسوار انطاكية المنيعة.

وفي الطرف الإسلامي نجد المؤرخين المسلمين ينظرون إلى الصليبيين والبيزنطيين كغزاة مغتصبين ولكن وقع الهمجية الصليبية المعهودة كانت أشدّ وطأةً وأثراً في مايرويه المؤرخون المسلمون عن رواياتهم السابقة حول الصراع الإسلامي - البيزنطي الذي أخذ مدى تاريخياً طويلاً واعتاد كلا الطرفين على أنماط المواجهة وإدارة الصراع بعضهما ضد البعض الآخر.

3- ومهما جاء في روايات (آنة) من تحامُل على الصليبيين ووصفهم بالهمجية إلاّ أنها تفضلهم على المسلمين الذين تصفهم بـ (البرابرة)، ومما لاشك فيه أنّ هذا التفضيل يقوم على أساس التقاء مصالح الطرفين، الروم والصليبيين في معاداة المسلمين، ومحاولة الإمبراطورية البيزنطية أنْ توظف تلك الجموع الغوغائية من الغزاة لتحقيق أهدافها في التصدي لسلطان المسلمين.

4- الاختلاف الشديد في وجهات النظر بين المؤرخين الصليبيين و (آنة) حول الموقف من تاتيكوس، ممثل الإمبراطور، فمهما حاولت (آنة) أنْ تلتمس الأعذار لتركه ساحة الصراع والعودة الى القسطنطينية، نجد أنّ الصليبيين يُجمعون على خيانته للقضية الصليبية.

5- إن (آنة) كومونين لا ترى في فيروز الزرّاد أكثر من خائن، بينما عظّم المؤرخون الصليبيون الدور الذي قام به فيروز وأضفوا عليه هالة من الاحترام والتبجيل، ولاشك أنّ التقييم النهائي من كلا الطرفين إزاء فيروز يرتكز أساساً على النتائج التي ترتبت على مسلكه الذي أفضى إلى وقوع المدينة بيد الغزاة.

مصادر ومراجع البحث

* رسمت بعض المراجع العربية اسم الأميرة في عدة إشكال (حنة، آنة، أنّة، آنا، آن) بينما كتبت في الأصل اليوناني بالأحرف (Anna) وورد في بعض التراجم الانكليزية اسم الأميرة كما جاء في الأصل اليوناني وفي تراجم انكليزية أخرى كتب بالأحرف (Ann) ورأينا في هذا البحث أن نكتبه بهذه الصورة (آنة) انسجاما مع أصل اللفظ اليوناني.

ينظر على سبيل المثال :-

Anna Comnena. Alexiad (ed.B.leib), in collection, Byzantine de I, Association Guillaume Bude, voll 3 . p.1; Ostrogoraky, G. History of the Byzartine state oxford, 1956. P.311; Ann, Comnena, the Alexiad. Edited and translated by Elizabeth. A. Dawes, London: routledge, kegan, paul, 1928, p.229;

عاشور، سعيد عبد الفتاح (دكتور)، أوربا العصور الوسطى التاريخ السياسي، مكتبة الانجلو المصرية، ط3، (القاهرة 1964 م) ج:1، ص: 665؛ زكار ،سهيل (الدكتور)، الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية تأليف وترجمة سهيل زكار، دار الفكر، ط1 (بيروت 1995 م)، ج:6 ص:3

الهوامش

1-آنة، كومونين، الالكسياد، ترجمة وتحقيق الدكتور سهيل زكار،(في موسوعة الحروب الصليبية) (ج:6)، ص:3

2-رنسيمان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الدكتور ألباز ألعريني، دار الثقافة، ط1، (بيروت، 1968م–1969م)، ج:1 ص:109.

3-زكار، الموسوعة، ج:6 ص:3، 4.

4- Ostrogoraky, History of the Byzartine state, p.311.

5- Ibid,p.113.

6-زكار، الموسوعة ج:1، ص:120 وما بعدها؛ كلود كاهن، الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية, ترجمة أحمد الشيخ, دار سينا للنشر ط (1)، (القاهرة، 1995م)، ص:23-53؛ كروسية، رنيه، الحروب الصليبية، صراع المشرق والمغرب، ترجمة احمد أيبش، دار قتيبة للنشر والتوزيع، ط(1) (دمشق 2002) ص:31- .44

7-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:808هـ1406م) العبر وديـــوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي السلطان الأكبر، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات (بيروت 1971م) ص:23-32.

8-قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، سلسلة كتاب عالم المعرفة (الكويت1990م)، ص :94.

9-أبو سعيد، حامد غنيم (الدكتور)، الجبهة الاسلامية في عصر الحروب، ط(1)، دار الثقافة ،(القاهرة،1984) ،ج:1، ص:42.

1-ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي (ت:555 هـ/ 116م)، ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، (بيروت, 1908), ص:123-124؛ Gibb, The Damascus chronicle of crusades (London 1957) P.14; رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:.305

11-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص:131-132.

12-رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج :1 ص:304.
13-البنداري، الفتح بن علي الأصفهاني، (ت :643هـ، تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق لجنة أحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة ط(3) (بيروت،1980)، ص:34.
14-رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:173.
15-سمل، ر، سي، الحروب الصليبية، ترجمة سامي هاشم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (ط 9)، (بيروت، 1982)، ص:49.
16-بول أميل، تاريخ أرمينيا، ترجمة شكري علاوي، مكتبة الحياة (بيروت، د. ت)، ص:.31
17-العريني، السيد الباز (الدكتور)، الشرق الأدنى في العصور الوسطى، دار النهضة العربية (بيروت، د.ت) ص:12.
18-بوهمند النورماني هو بوهمند بن روبرت جويسكارد الزعيم النورماني الإيطالي الشهير الذي كان عدواً لدوداً للإمبراطورية البيزنطية . وأبان الحملة الصليبية الأولى كان بوهمند امير في اوترانتو يخوض صراعاً وراثياً ضد أخيه روجر بورصا دوق ابوليا, ولكنه ترك ذلك الصراع معلقاً وسار مع الجيوش الصليبية نحو الشرق. للمزيد ينظر:
Britannica Encyclepdia, William Benton, publisher, (London , 1768) p. 1201;
رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج :1، ص: 222-26.
19-الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة زياد العسلي، دار الشروق ط(1) (عمان 1990م)، ص:41،40؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، ج:1، ص:229.
20-أنة، الالكسياد، ج:6 ، ص:28.
21-المصدر نفسه، ج:6 ، ص:.21
22-ينظر هامش 90
23-رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج :1، ص: 219.
24-عاشور، سعيد عبد الفتاح (الدكتور)، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، (ط1) (القاهرة 1963) ج:1، ص:164.

25-نيقية: ذكرها ياقوت وقال أنها من أعمال اسطنبول على البر الشرقي... الحموي، أبو عبد الله (ت:626 هت/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت 1995م، مج:5، ص:.333
26-الصوري، القس وليم (ت:هـ/1185م)، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر(ط1) (1410هـ،1990م)، ج:1 ص:344.
27-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:40، 41.
28-ابن الأثير، أبو الحسن بن ابي الكرم(ت:630هـ/1233م) الكامل في التاريخ (بيروت 1386هـ/1966م، مج:10، ص:274–275؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:333.
29- ابن الأثير، الكامل، مج :10، ص:.276
30-Elisseeff (n.), Nur AD-Din. un Grand prince de Syria Au Temps des croisades (511-569/1118–1174) Damas 1967, vol.3. p. 746.
31-تاريخ الحملة الى القدس، ص :.53
32-Ralph Bailey yewdale, Bohemond, I, prince of Antioch (U. S. A, 1924) p.p 53–54.
33-دي جيل، سانت، تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس، تحقيق د. سهيل زكار (في موسوعة الحروب الصليبية)، ج:6، ص:190.
34-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:46.
35-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص:134؛ ابن العديم، أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (ت:660 هـ/1262 م)، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان (بيروت، 1968م)، ص:130.
36-ابن القلانسي، المصدر السابق، ص:134؛ آنة، الالكسياد ص:.46
37-ابن الأثير، الكامل، ج:1، ص:275.
38- Robson (W.), History of the Crusades (London 1852), vol. 1. p.138; Setton (K. M), A history of the Crusades (London 1969), op. cit, vol. I. p. 316.
39-Setton : op , cit , I , p . 316 .

40-مجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة د.حسن حبشي، دار الفكر العربي (القاهرة, 1958)، ص:49؛ الصوري، الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ج:1، ص:282.
41- الصوري الأعمال المنجزة، ج:1، ص:.282
42- Robson: History of the crusades, vol, I, p. 132.
43-الشارتري، تاريخ الحملة الى القدس، ص:54؛ الصوري، الأعمال المنجزة وراء البحار، ج:1، :284.
44-رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:.308
45-زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ط(1)، دار التقدم (موسكو، د.ت)، 85 – 86.
46-الصوري،ج:1، ص:280-281؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:309.
47-باركر، ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة الدكتور السيد الباز العريني، دار النهضة (ط 2)، (بيروت، 1967)، ص:.28
48-رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:.210
49-دمستق الشرق: هذا المنصب من الوظائف الامبراطورية القديمة، وكان مقر صاحبه فيما مضى في مدينة أنطاكية، عندما كانت هذه المدينة المركز الإداري الذي يدير منه (كونت الشرق) الأطراف الشرقية للإمبراطورية. ينظر, الجنابي، طلب صبار، إمارة أنطاكية. دراسة في علاقتها السياسية بالقوى الاسلامية (491 هـ-666 هـ/1098–1268م) أطروحة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة، جامعة بغداد،1996، ص:106.
50-آنة، الالكسياد، ج:6، ص :33.
51-المصدر نفسه، ج:6، ص:33.
52-رنسيمان، الحروب الصليبية، ج:1، ص:309.
53-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:.34
54-ذكر ابن القلانسي إن اسمه فيروز وقال انه من أصل أرمني، أمّا ابن الأثير فسماه (زرزبة) وقال انه كان زراداً ثم صار أحد المستحفظين للأبراج، وذكره ابن العديم: بأنّه زرّاد من أهل أنطاكية، كما ذكره صاحب أعمال الفرنجة وآخرون، والذي لا خلاف عليه أنّه كان مسؤولاً عن حماية بعض الابراج. ينظر: ابن ألقلانسي، المصدر السابق، ص:136؛ ابن الأثير، الكامل,

مج:8، ص:186؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج:2, ص133؛ مجهول، أعمال الفرنجة، ص:66.
55-ينظر: هامش32.
56-الصوري، الأعمال المنجزة، ج:1، ص:.286
57-البارة:- يسميها البعض زاوية البارة، وهي بليدة وكورة من نواحي حلب، وبها حصن، وتشتهر بالبساتين. ينظر: ابن خرداذبة أبو القاسم بن عبدالله (ت: في حدود 300هـ)، المسالك والممالك، تحقيق ديغوية (لايدن 1889م)، ص:76.
58-ابن العديم، زبدة الحلب، ج:2, ص:132؛ الصوري، الأعمال المنجزة ج:1، ص:291.
59-رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:381.
60-دي جيل، تاريخ الفرنجة، ج:6، ص:.197
61-Brehier, (L.) Vie Et mort de Byzance (Paris 1948) P.313.
62-الحمد، عامرة علي، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية وإمارة أنطاكية الصليبية في عهد الامبرطور الكسيوس كومونين، رسالة ماجستير، بأشراف الدكتور ابراهيم العدوي، جامعة الكويت مطبوعة على الآلة الكاتبة، 1976م، ص:96.
63-الكامل، مج:10، 247؛ الحريري، احمد بن علي (القرن العاشر الهجري)، كتاب الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين إلى بلاد المسلمين، تحقيق د.سهيل زكار، مكتبة الملاح (ط1) (دمشق،1981م)، ص:63.
64- الكامل، مج:10، ص:.247
65-عاشور، الحركة الصليبية ج:1، ص:.191
66-الصوري، الأعمال المنجزة، ج:1، ص:330.
67-ابن العديم، زبدة حلب، ج:2، ص:141، 142.
68-مجهول، أعمال الفرنجة، ص:.50
69-الأعمال المنجزة، ج:1، ص:.315
70-فوشيه، تاريخ الحملة الى القدس، ص:.54
71-قلعي، قدري، صلاح الدين الأيوبي، قصة الصراع بين الشرق والغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر، دار الكتاب العربي (بيروت 1966م)، ص:60؛ حبيب جاماتي، غبار المعارك، ص:58.
72-سميل، الحروب الصليبية ص:.49
73-الصوري، الأعمال المنجزة، ج:1، ص:327 – .328

74-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:.46
75-مجهول، أعمال الفرنجة، ص:66–.70
76-تاريخ الحملة إلى القدس، ص:57، .58
77-krey (A.), The First Crusades (prinnceton,1958) p.p.30,33.
78-دي جيل، تاريخ الفرنجة، ج:6، ص:206.
79-مجهول، ص:67؛ تاريخ الحملة إلى القدس، ص:58.
80-الأعمال المنجزة، ج:1، ص:314، 315.
81-زكار، موسوعة الحروب الصليبية، ج:9، ص:5.
82-ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص:.163
83-ابن الأثير، الكامل، مج:8، ص:.186
84-ابن العديم، زبدة الحلب، ج:2، ص: 133- 134.
85-الرهاوي، المجهول، تاريخ الرهاوي، عربه عن السريانية الأب ألبير أبونا، مطبعة شفيق، (ط1) (بغداد 1986) ص:76-77.
86-الأعمال المنجزة ،ج :1 ،ص :315,314 .
87-مجهول، تاريخ الرهاوي ،ج2، ص:.77
88-السوري، البطريرك ميخائيل، (ت:1199م) تاريخ ميخائيل السوري، تحقيق سهيل زكار (في موسوعة الحروب الصليبية) ج6، ص:91.
89-الصوري، ألأعمال المنجزة، ج:1، ص:316.
90-نسيم يوسف، جوزيف، العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبيية، مؤسسة الجامعة للطباعة والنشر ط(1) (الإسكندرية، 1983), ص:239.
91-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:47-48.
92-المصدر نفسه، ج:6، ص:47؛ فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة على القدس ص:56.
93-مجهول، أعمال الفرنجة، ص:56.
94-مجهول، أعمال الفرنجة، ص:56؛ آنة، الالكسياد، ج:6، ص:47.
95-أنور حاتم (الدكتور)، شهود العيان على فتح أنطاكية، مجلة المشرق، مج :32 (بيروت،1934)، ص:57،58.
96-تأريخ الفرنجة، ج:6، ص:.197
97-مجهول، أعمال الفرنجة، ص:66؛ الصوري، ألإعمال المنجزة، ج:1 ص:317؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج:2، ص:134.
98-ريموند دي جيل، تاريخ الفرنجة ج:6 ص:.195

99-Chalandon(F), Histoire de la premiere Crusades (Paris, 1925) , p.193 .
100-حصن حارم: قال ياقوت هي حصن حصين، وكورة جليلة تجاه انطاكية. ينظر: معجم البلدان ج:2، ص:250؛ البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الخالق (ت:739هـ)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، البابي الحلبي ط (1)، (القاهرة، 1954م)، ج:2، ص:371.
101- Duggan (A.) The Story of theCrusades, London 1969, p.p.58, 60.
102-أعمال الفرنجة، ص:67.
103-المصدر نفسه، ص:67؛ آنة، الالكسياد، ج:6، ص:46-47.
104-رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:331.
105-يقول الصوري إن سرّية العلاقة بين بوهمند وفيروز لم تكشف إلاّ لعدد قليل من الزعماء الرئيسيين. ينظر: الأعمال المنجزة، ج:1، ص:320-321.
106-مجهول، أعمال الفرنجة، ص:68؛ رنسيمان ،تاريخ الحروب الصليبية، ج:1، ص:.331
107-ابن العديم، زبده الحلب، ج:2، ص:133، 134؛ مجهول أعمال الفرنجة، ص:68، 69.
108- مجهول، أعمال الفرنجة، ص:68؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج:2، ص:133-134.
109-أنور حاتم، المصدر السابق، ص:.194
110-ابن الأثير الكامل، مج :1، ص:274، 275؛ آنة، الالكسياد، ج:6، ص48-49؛
Lamb (H.) The crusades, Iron men and saltns (London, 1930), p.p. 151–153.
111-الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ص:58؛ عطية، محمد حسين، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون (567-666هـ)، ص:.119
112-عطية، إمارة أنطاكية، ص:119.
113-آنة، الالكسياد، ج:6، ص: .54
114-ابن الأثير الكامل، مج:10ص: 276.
115-ابن القلانسي، ص:136؛ ابن الأثير، الكامل، مج:10 ص:.276

116-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:50، 51، 52؛ رنسيمان، الحروب الصليبية، ج:1، ص:339-340.
117-أبو الفداء، إسماعيل بن محمد، صاحب حماة (ت:732 هـ/1331م)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية (ط1)، ج:1، ص:210؛ Setton (K.)A History of the Crusades, Vol ,1,p319.,
118-مجهول، إعمال الفرنجة، ص:81 – 83؛ ريموند دي جيل، تاريخ الفرنجة، ص:211 – 216؛ الصوري، الإعمال المنجزة، ج:1 ،ص:351، 352.

119-ابن الأثير الكامل، مج10، ص:276؛ ابن الوردي، ابن حفص عمر بن مظفر بن عمر(ت:749هـ/1349م)، تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية (ط2) النجف الاشرف (1389 هـ/1969م)، مج 2، ص:15.
120-الحميدة، سالم محمد، الحروب الصليبية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط(1) (بغداد، 1990م)، ج:1، ص:153.
121-آنة، الالكسياد، ج:6ص:50-52.
122-آسكي شهر: التسمية الحديثة لمدينة ملطية القديمة التي تقع على احد روافد نهر قباقب الذي يصب في نهر الفرات، وتبعد نحو فرسخ عن الجسر القديم المسمى قرق كز الذي يعبر نهر طوخمة فوق ملتقاه بنهر الفرات، ينظر: كي ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس، كور كيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، ط (1) (1973هـ/1954م)، هامش ص:153.
123 - Michaud (M.), Histoire des croisades, vol, 1, (Paris, 1917), vol , 1, p.p. 300–302.
124-الصوري، لأعمال المنجزة، ج:1، ص:348.
125-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:.54
126-المصدر نفسه، ج:6، ص:55.
127-Brundage (Janes), An errant crusader: Stephen of Blois: in tradition, vol, xv 1, 1959, p395; Krey (A.) Urban’s crusade success, or Failure, in A. H. R, vol, 53, 1947–48, p. 288 .
128-آنة، الالكسياد، ج:6، ص:49.
129-مجهول، أعمال الفرنجة، ص:.70
130-رضا بك، احمد، وثائق عن الحروب الصليبية ترجمة محمد بورقيبة، محمد الصادق الزمرلي، دار بوسلامة (ط 3) (تونس، 1977)، ص:81.

131-لوبون، غوستاف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1979م)، ص:400.
132-فوشيه، تاريخ الحملة، ص:58.
133–ريموند دي جيل، تاريخ الفرنجة، ج:6، ص:.208
134-الصوري، الأعمال المنجزة، ج:1، ص:.330
135-ابن ألقلانسي، المصدر السابق ص:135؛ ابن العديم زبدة الحلب ج:2، ص:135.
136–الحمد، العلاقات، ص:.115
137-Duncalf: The POP'S for the first crusades, (New–York, 1968), p.p. 254, 258.
138-Anna, Comnena, The Alexiad (translated from the Greek By E.R.A. Sewter(penguan 1969)p.p.392-405.
تم اقتباس المعلومة في هذا الهامش(138) من النص الانكليزي، لأنّ هذه المادة خارج النص المترجم في موسوعة الحروب الصليبية، الذي اعتمدناهُ في هذا البحث.